النصر

في فكر الإمام الخميني قدس سره

إعداد ونشر

مركز الإمام الخميني الثقافي

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد بن عبد الله، وعلى آله الطاهرين.

عندما تكون الكتاب عن النصر في فكر الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه، فهذا يعني أنك تكتب عن النصر في فكر رجل إلهي عاش النصر في كل قناعاته وفكره، مواقفه ومبادئه، بل كل النصر حليفه في كل معاركة والساحات، من ساحة الجهاد الأكبر، إلى ساحة الجهاد الأصغر، وإلى كل ساحة صراع بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين الفضيلة والرذيلة، بين الإسلام والكفر، بين الاستضعاف والاستكبار. وشاء الله تعالى لهذا العبد الصالح بأن يكون انتصار الثورة العارمة تتويجاً لمسيرة الانتصارات

تلك، ليتحول الإمام العظيم وثورته الرائدة إلى رمزٍ للتحرر والنصر لكل مسلم ومستضعف وحرٍ في هذا العالم، في عصره والعصور الآتية.

ونحن إذا أردنا أن نبحث عن سر النصر في شخصية الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه، فإنا نجد هذا السر متجلياً في ثقافة القيام لله، هذه الثقافة التي لازمت الإمام ولازمها في كل مراحل حياته الشريفة، فخالطت لحمه ودمه وروحه، ومثلت كل نواحي الحياة في الخاص والعام والصغيرة والكبيرة واليسير والخطير بلا فرق، فهو المتعلم الذي تعلم لله، والعالم الذي علّم لله، والواعظ الذي خطب ووعظ لله، والثائر الذي قام لله، والصابر الذي احتسب في الله، والمجاهد الذي ضحى في سبيل الله، ولذلك فإنه كان الرجل الذي لم يخف يوماً في حياته، إذ كيف يخاف من كان كله لله؟ وكان الشخص الذي لم يهزم يوماً في حياته، وكيف يهزم من كان كل قيامه لله؟

وهذه بعض كلماته الهادية تحدثنا عن هذه الثقافة التي لا هزيمة معها بل هي انتصار دائم. يقول عليه السلام: "القيام لله لا هزيمة معه"[1]، ويقول: "إننا لا نخاف لأن قيامنا لله"[2]، ويقول أيضاً: "إن جميع القوى تتلاشى أمام الله تبارك وتعالى"[3]، وأخيراً يوصينا بالتمسك بهذه الثقافة بقوله: "لتربطوا أنفسكم بمبدأ القدرة الإلهية، ولتوصلوا أرواحكم ـ وهي القطرات ـ بالبحر اللامتناهي"[4].

---

[1] الكلمات القصار، ص١١١.

[2] الكلمات القصار، ص١١١.

[3] الكلمات القصار، الإمام الخميني قدس سره، ص١١١ـ ١١٢.

[4] الكلمات القصار، الإمام الخميني قدس سره، ص١١١ـ ١١٢.

إن هذا السر في الحقيقة ليس سوى جوهر الإسلام والعقيدة وحقيقة الدين والقرآن، حيث كان المربي والهادي والمرشد هو الإسلام ونبيه الكريم وآل البيت المعصومين عليهم السلام الذين ربّى الإمام نفسه في مدرستهم خير تربية، وسار بكل استقامة على خطى نهجهم المنتصر على الدوام حتى في ساعات القتل والشهادة وخذلان الناصر. فها هي دماء الحسين عليه السلام في كربلاء تنتصر على جلادها، لا بل على كل الجلادين في آتي العصور، ليصير انتصار الدم على السيف شعاراً تتغنى به الدهور ومبدأً جهادياً ينطلق منه المستضعفون والمظلومون في كفاحهم المرير ضد الطواغيت والمستكبرين في كل زمان، ويغدر شعار كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء سر الانتصار والعزة على صفحة الزمان وامتداد المكان.

ويبقى القول ان فصول هذا الكتاب ليست إلا محاولة متواضعة من قبل الكاتب لاستجلاء معاني وأبعاد النصر في فكر الإمام قدس سره، وذلك بالاعتماد على ما أمكن الوصول إليه من كلمات ومواقف الإمام بما سمح به الوقت القصير وأمكنت منه القدرة الضئيلة، وإلا فإن رحابة الفكرة وبُعد القضية وعمق الروح التي تشكلت منها شخصية الإمام المنتصر على الدوام، لا يحيط بها مؤلف أو كلام، وينبيك عن هذا الروح، كلمات للإمام قدس سره قالها في ساحة التحدي الصعبة مع أعداء الإنسانية في أوج احتدام الصراع، أحببت أن أختم هذه المقدمة متبركاً بها.

"هيهات أن يسكت الخميني ويهدأ في مقابل اعتداء الأبالسة والمشركين على حريم القرآن وعترة رسول الله وأمة محمد وأتباع إبراهيم الحنيف، أو أن يقف مراقباً لمشهد ذلة وتحقير المسلمين. إني مستعد لأن أقدم دمي

وروحي التي ليس لها أي قيمة من أجل أداء واجب الحق وفريضة الدفاع عن المسلمين وأنا بانتظار الفوز العظيم بالشهادة"[1].

"فليطمئن المقتدرون والقوى العظمى إلى أنه لو بقي الخميني وحده وحيداً فإنه سوف يكمل طريقه الذي هو الصراع مع الكفر والظلم وعبادة الأصنام، وبعون الله فإنه سوف يقف على جانب تعبئة المستضعفين في العالم الإسلامي، هؤلاء الحفاة الذين يغضبون الدكتاتوريين، ونحن سوف نسلب النوم من أعين ناهبي العالم والعملاء المصرّين على ظلم أنفسهم"[2].

ويقول قدس سره في موقع آخر: "إن الخميني اليوم قد فتح صدره وحضنه لتلقي سهام البلاء والحوادث الصعبة، ومقابل كل القذائف وصواريخ الأعداء ومثل كل عشاق الشهادة فإنه من أجل أن يصل إلى الشهادة يعد الأيام"[3].

مركز الإمام الخميني الثقافي

---

[1] الاستقامة والثبات في شخصية الإمام الخميني، ص٣٤٧.

[2] الاستقامة والثبات، ص٣٤٨.

[3] الاستقامة والثبات، ص٣٤٨.

الفصل الأول

حقيقة النصر وتجلياته

النصر في المفهوم الإلهي، وكما تعلمنا من الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه، هو نفس تحقيق رضا الله تعالى ونيل رضوانه، ولا يتحقق هذا الرضا ولا ينال الرضوان إلا من خلال لزوم أمر الله ودوام طاعته، كما يريد الله ويحب أن يطاع. فالنصر بناءً على هذا الفهم الإلهي لا يتحقق بغير ذلك وإن ظن الكثيرون ظواهر أعمالهم فوزاً ونصراً ﴿قم هل نُنبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾[1]. فالسعي والعمل والجهاد والصراع الذي ينجر إلى الفوز والنصر فقط وفقط هو السعي المرضي والمقبول من الله تعالى حيث يكون العمل لله والجهاد في سبيله والصراع دفاعاً عن الحق لا يحيد عنه أبداً.

وبهذا المقياس للنصر لا تعود القيمة لحجم العمل وعظم ساحة القتال بل للهدف والنية والإخلاص وسلامة المنطلق وطهارة النفس، وإصابة كل ذلك لمواطن الرضا الإلهي. ومع هذه الفلسفة للنصر والتي تشكل جوهر القضية هنا فإن كل عمل يصدر عن الإنسان صغيراً كان أم كبيراً، حقيراً أم خطيراً تكون نتيجته نصراً وفوزاً وربحاً لا خسارة معه مادام ذلك كله لله موفقاً لرضاه، حتى لو أدى ذلك العمل بحسب الظاهر للخسارة أو الهزيمة أو الفشل ومجانبة الأهداف المرجوة. وبالمقابل فإن كل عمل أو فعل مهما كان كبيراً وجليلاً بحسب الظاهر وإن صنف أيضاً بخانة الفوز والنصر

---

[1] الكهف / الآية ١٠٣ـ١٠٤.

وتحقيق الأهداف الكبرى لا يعد كذلك إن لم يكن منطلقه وجه الله ولم يحز على كسب الرضا الإلهي، بل لابد من تصنيف ذلك في خانة الهزائم والإخفاقات ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾.

بهذه الروحية كان الإمام الخميني واجه كل القضايا والأمور الصغيرة والكبيرة، لتصير القضية لحجم من يعمل من أجله وهو الله تعالى، لا بحجم نفس القضية، وعليه بنظر الإمام قد ينعدم الفارق، لجهة النية والشعور بين عملٍ بحجم إعالة فقير أو إغاثة ملهوف أو حتى تقديم جواب على مسألةً شرعية وبين القيام بثورة أو إقامة دولة إسلامية، فالنية واحدة القيام لله ولله وحده لا شريك له، ومن هذا الفهم والمنطلق يمكن تفسير جواب الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه لذلك الصحافي الذي سأله عن شعوره وهو يطأ بقدميه أرض مطار إيران عائداً بالفتح والظفر وملايين الناس قد هبوا لاستقباله، فكان الجواب لا شيء، لا شيء..! هذه اللاشيء هي ما قصدناه وعنيناه، أي لا شيء غير عادي، إنه مجرد القيام بالتكليف الشرعي طلباً للرضا الإلهي، وهذا القيام بالتكليف على المستوى الشعوري كالقيام بأي تكليف آخر صغيراً أم حقيراً بحسب الظاهر، والفارق لا شيء.

هذه هي حقيقة النصر ومعناه وروحه وجوهره بنظر الإسلام المحمدي الأصيل الذي تعلمناه من خط الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه.

وأما تجليات النصر وإشراقاته فهي كثيرة، نعرض لأهمها:

النصر في ظل الحق:

النصر والحق حليفان، فأَينما حلَّ الحق كان النصر، وأَينما حصل النصر كان في ظل الحق منطلقاً منه، بل يمكن القول إن النصر في الحقيقة ليس

إلا تجلي للحق ومظهر له، وذلك أن الحق هو اسم من أسماء الله وبعض من حقائق القدرة الأزلية الأبدية، والله تعالى هو المنتصر والقاهر والمهيمن والمقتدر، فالحق منتصر على الدوام لأنه من إرادة الله وعدله فهو حقيقة ثابتة لا تبدل لها، ومقابل الحق يأتي الباطل الذي هو سراب ووهم وخيال ﴿أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾[1]، ولذلك قيل: إن للباطل جولة وللحق جولات، وقيل أيضاً: للباطل ساعة والحق إلى قيام الساعة. وعليه فإن نتيجة الصراع بين الحق والباطل هو انتصار الحق على الدوام حتى لو قتل أهل الحق وصرعوا من قبل الباطل وأهله في بعض أدوار الزمان.

وبهذا الصدد يخاطب الإمام الخميني الشعب الإيراني المنتصر إبان الثورة الإسلامية الظافرة في إيران عام ١٩٧٩ بقوله: "الحق منتصر، وما دمنا في طريق الحق فنحن منتصرون، والباطل مهزوم وكل من يسير في طريق الباطل فسوف يكون مهزوماً... لقد كان الحق معكم حينما هتفتم: نحن نريد الإسلام ولا نريد الكفر والشرك ولا الغزاة ولا قول الزور؛ وأولئك كانوا مع الباطل حينما وقفوا بمواجهتكم وأرادوا المحافظة على ذلك النظام، كذلك القوى الداخلية والقوى الخارجية والعملاء الداخليون سواء كانوا من أهل القلم والبيان أم كانوا من أهل العمل والحيل والرايات الحربية،... ومع ذلك فإن شعبنا بقدرة (الله أكبر)، تغلب على هذه الحيل والرايات الحربية الكبيرة وانتصر، والحق منتصر دائماً"[2].

---

[1] الرعد / الآية ١٧.

[2] الاستقامة والثبات في شخصية الإمام، ص١٩٧.

الثبات على الحق:

من القضايا الهامة والتي تعد شرطاً في تحقيق النصر وديمومته هي الثبات على الحق والتمسك به وعدم الحياد عنه، لأن الحياد عن الحق والانحراف عنه هو خروج عن جادة النصر إلى وادي الهزيمة بل تكون الهزيمة هنا أشد لأنها جاءت بعد انتصار، وبعد قيام الحجة بمعرفة الحق والتمسك به ومن ثم تركه والحياد عنه. والثبات على الحق يحتاج للكثير الكثير من العزم والإرادة والإخلاص والوعي والحكمة والتصميم. فطريق الحق هو الطريق المستقيم والجاد الذي لا اعوجاج فيه، وهو طريق ذات الشوكة والصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى بالسير فيه والتمسك به. والتمسك هنا يحتاج إلى التثبت الشديد مع تجميع كل القوى العقلية والنفسية والجسدية تركيزاً على هذا المسار دون غيره مع بذل التضحيات عندما يتطلب الأمر ذلك، وبهذا يكون الثبات إلى جانب الحق ثباتاً على النصر وسراً من أسراره. يقول الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه: "الشرط الأساسي هو الثبات إلى جانب الحق، يجب أن يجتمع الذين آمنوا بالإسلام وآمنوا بالحق على حقهم، ولا يدعوا أهل الباطل يجتمعوا على باطلهم"[1]. وفي كلام الإمام هنا أيضاً إشارة واضحة إلى شرط آخر من شروط الثبات على الحق هو اجتماع المؤمنين بحقهم على كلمتهم وحقهم في دفاعهم عنه، وعدم ترك هذه الميزة لأهل الباطل دونهم، ففرقة أهل الحق عن حقهم وتخليهم عنه يعدُّ هجراً لهذا الحق وبالتالي أخذاً بأسباب الهزيمة وعلو الباطل.

---

[1] الاستقامة والثبات في شخصية الإمام، ص١٩٧.

أهل الحق لا يخافون من التهديدات:

وهذه الخاصية من لوازم التمسك بالحق، فأهل الحق هم أهل الله وأهل الإيمان وأهل الإيمان وأهل الآخرة وأهل الجنة وأهل الزهد بالدنيا ودرجاتها ومباهجها، لذلك يفترض بهم وهم يحملون هذه الصفات أن لا يخافوا من أهل الباطل ومكرهم وحيلهم وتهديداتهم وأحابيلهم مهما بلغت من المكر والدهاء والخبث والقوة.

وقدوة أهل الحق ونموذجهم الأرقى في التمسك بالحق وعدم التخلي عنه بواسطة الإرعاب والتهديد بالقتل هم أبطال كربلاء الذين ثبتوا واستقاموا على الحق ولم يرعبهم كل التهديد والتهويل والحصار إلى أن قضوا عن آخرهم شهداء في طريق الدفاع عن الحق ومناجزة الباطل. ويكفي البشر وأهل الحق درساً في عدم السقوط في فخ الخوف من الإرعاب وترك الحق، كلمة قالها علي بن الحسين عليه السلام عندما أعلمه والده الحسين عليه السلام أنه يقتل يوم غد مع باقي أهل بيته والأصحاب، فأجاب علي بن الحسين عليه السلام: "ألسنا مع الحق"؟ قال الحسين عليه السلام: "نعم"، فقال علي بن الحسين عليه السلام: "إذن لا نخاف، أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا".

ونحن عندما نلاحظ شخصية إمام الخميني العظيم نجد أنها كانت الشخصية الصلبة كالجبل الراسخ في طريق الحق لا يزلزلها العواصف، وهل هناك شجاعة أعلى من أن يصف الإمام الخميني نفسه بأنه لم يخف يوماً في حياته، وأن جلاديه عندما اعتقلوه وأرادوا به شراً كانوا هم الخائفين وكان هو يخفف من روعهم. إن الاستقامة والثبات على الحق في شخصية إمامنا الخميني رضوان الله عليه من الأمور التي يجب أن تتحول

إلى درس هادي لكل أتباع الحق وطالبي الحرية في العالم. وها هي كلمات الإمام الصلبة توصينا بأن لا نخاف مطلقاً من الإرعاب ما دمنا مع الحق، يقول رضوان الله عليه: "يجب أن لا نخاف من الحرب والإرعاب أبداً. لماذا نخاف؟ نحن مكلفون ونعمل بتكليفنا ونحن محقون. عندما نكون محقين فلماذا نخاف؟ إنها تلك الكلمة التي قالها علي بن الحسين لوالده ـ بعدما قال له سوف تقتلون: قال ألسنا مع الحق؟ قال نعم نحن على الحق، قال إذن لماذا نخاف؟ لم يعد عندنا خوف"[1].

النصر في ظل الصبر

الصبر على الصعاب في طريق الحق لهو تجلٍ آخر من تجليات النصر، فلا نصر بلا صبر وتحمل وصمود وعناد، فالنصر لا يأتي بسهولة، وهو ليس هبة للخانعين والضعفاء والمترددين بل هو من نصيب الرجال المؤمنين الذين يصبرون على ما يصيبهم في ذات الله، فالصبر من النصر كالرأس من الجسد، فلا جسد لا رأس معه، ولا نصر لا صبر معه ﴿فإنّ مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا * فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾[2].

يقول الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه: "إذا أراد الإنسان أن يصل إلى الحق، وإذا أراد أن يطبّق الإسلام الحق في بلدٍ ما، فيجب أن يصبر؛ هكذا كان يصبر أولياء الله سلام الله عليهم في كلّ المراحل والمصائب والمشاكل. لقد واجه رسول الله كثيراً من المشاكل خلال زمان وجوده

---

[1] الاستقامة والثبات، ص١٩٨.

[2] الشرح / الآيات ٥ـ٨.

الشريف في مكة والمدينة ومن جميع الجهات، فقد كانت المحاصرة الاقتصادية وكانت الهجمات العسكرية التي لم نر نحن مثلها"[1].

ويقول أيضاً: "إنكم على علم بأن تاريخ الإسلام مشحون بهذه المجاهدات والتضحيات والقتل على أيدي الفجار، حتى إن أئمتنا عليهم السلام قد ابتلوا بهذه الأمور، ولكن يجب الصبر والتلبس بالمناعة والاستقامة فإن الله مع الصابرين، وقد تغلبنا على هذه القوة الشيطانية الخارقة (الشاه) التي كانت كل القوى تقف وراءها، وليس هذا إلا لأن شعبنا كان متحداً صبوراً وكان يصبر على المشاكل ويحلها بالصبر وبالاتكال على الله تبارك وتعالى"[2].

النصر والمدد الإلهي:

إن من أجمل تجليات النصر هو مظاهر وإرهاصات المدد الإلهي والنصرة المبذولة للعباد الصادقين، فالمجاهدون الصابرون المحتسبون عندما تتحقق منهم الاستقامة في نصرة الله يتنزل عليهم النصر الإلهي الذي يترجم هداية لهم وفكراً بأعدائهم وعوناً لجندهم يتنزل من السماء ملائكة ورعباً وحجارة من سجيل، فيكون مشهد النصرة الإلهية هذه أجمل من مشهد النصر عينه لأنه بشارة من السماء على أن هذا النصر هو نصر حقيقي إلهي يستأهل أن يفرح المؤمنون به، ويكون مصداق الآية الشريفة ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[3].

---

[1] الاستقامة والثبات، ص١٢١.

[2] الاستقامة والثبات، ص١٢١.

[3] محمد / الآية ٧.

وبهذا الصدد يقول الإمام رضوان الله عليه: "إنَّ مع هذه الأمة حماية غيبية، فأنتم بالحماية الغيبية إنما تسيرون قدماً، وإلا فأنتم بأنفسكم لا تملكون الإمكانيات لذلك،... إن الذي كان بيد أمتنا إنما هو الله أكبر هو الإيمان، فالإيمان ونداء الله أكبر هو الذي دفعكم إلى الإمام"[1].

ويقول أيضاً: "أولئك الذين لا يهتمون بالمعنويات ألا ينتبهون من سباتهم؟ ألا يؤمنون بهذا الغيب؟ هلاّ يستيقظون! من الذي أسقط هليكوبترات السيد كارتر التي أرادت غزو إيران؟ أنحن الذين أسقطناها؟ الرمال التي أسقطتها. لقد كانت الرمال مأمورة من الله، وكانت الريح مأمورة من الله، ليجربوا ثانية"[2].

---

[1] الاستقامة والثبات، ص١١٥ـ١١٦.

[2] الاستقامة والثبات، ص١١٥ـ١١٦.

الفصل الثاني

سر النصر والمحافظ عليه

إن النصر بكل معانيه المتقدمة بدءً من طاعة الله مروراً بالثبات على الحق ونصرته ووصولاً إلى النصر الإلهي وتنزله على المجاهدين لا يتحقق إلا من تحقق علله وأسبابه بسحب السنن الإلهية المودعة في هذا الكون، وبالعودة إلى كلام الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه ومواقفه نجد أنه يختصر هذه العلل والأسباب جميعاً بسببين رئيسيين، وهما الإيمان بالله ووحدة الكلمةن يقول رضوان الله تعالى عليه "إن سرّ انتصاركم هو الإيمان ووحدة الكلمة"[1]. ونحن بدورنا نفرد لكل ركن من ركني الانتصار هذين بحثاً خاصاً عسى أن نوفق بهذا الإيجاز لبيان هذا السر العظيم.

الإيمان بالله والتوكل عليه:

قد يعتقد البعض بأن التعرف على أحد ركني النصر وهو الإيمان بالله هنا يجعل النصر في متناول كل أحد، إذ قد تم التعرف على السر والعلة، والجواب هو أن التعرف على السبب والعلة شيء وامتلاك هذا السبب وتلك العلة شيءٌ آخر، فالإيمان بالله تعالى ليس كلمة تقال أو موقفاً يُرتجل، بل هي حالة يعتمل فيها العديد من العوامل والأسباب بحيث يتحول الإنسان معها إلى مخلوق متميز على مستوى الارتباط بالله والتوجه إليه واستمداد القوة منه وبذل التضحيات في سبيله، فيصير مخلوقاً لائقاً

---

[1] الكلمات القصار، الإمام الخميني، ص١٢٣.

بتوجه الله تعالى إليه أيضاً ومده بالنصر والغلبة والمنعة. والمجال هنا لا يتسع للتقصي والبحث حول العوامل والأسباب التي تساهم في صناعة الإنسان المؤمن، إلا أننا نذكر وعلى سبيل التعداد أهمها، ومنها توفر العقيدة الصحيحة، والثقافة السليمة والمفاهيم الوضاحة والقدوة الصالحة وبعد ذلك التوفيق إلى محبة أحباء الله ومعاداة أعدائه والتوفيق إلى العمل الصالح، وقبل ذلك وبعده التوفيق إلى التضرع بحضرة الباري أن يأخذ باليد والناحية إلى الصراط المستقيم وأن يهدي الإنسان إلى رشده وفطرته الصافية.

وهنا أجد مناسباً أن أثبت عدة كلمات نورانية للإمام الخميني رضوان الله عليه تؤكد ارتباط النصر بالإيمان بالله تعالى:

* "لقد استطاع شعب إيران المجاهد أن يتغلب بالإيمان بالله ووحدة الكلمة على قدرة شيطانية عظيمة تدعمها جميع القوى، وأن يقطع يد جميع القوى العظمى عن بلده"[1].

* "إن الإيمان بالله وبالمبادئ الإسلامية هو الذي حقق لكم النصر"[2].

هنا نلفت النظر إلى أهمية الإيمان بالمبادئ والقيم الإسلامية دون مجرد حملها كشعارات مجردة عن العمل، إذ إن الإيمان بالمبادئ هو مقدمة للعمل بها حيث لا يتحقق العمل بلا إيمان راسخ. وفي الحقيقة إن مشكلة المسلمين الكبرى في طول التاريخ الإسلامي كانت أنهم يحملون المبادئ العظيمة على مستوى الشعار والتراث من غير أن تؤمن بها قلوبهم والعقول

---

[1] الكلمات القصار، ص١٢٣.

[2] الكلمات القصار، ص١٢٣.

فيكون مثالهم كحامل التمر إلى هجر أو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، غير أن إيمان المسلمين في عصر الإمام الخميني بالله وبالقيم والمبادئ الإسلامية الرائدة جعلتهم يحققون النصر بسرعة مذهلة.

* "إنَّ سرَّ انتصارنا هو التوجه نحو الله تبارك وتعالى والحرص على حراسة الإسلام"[1].

* "حافظوا على الأخلاق والسلوك الإسلاميين، فهما اللذان حققا لكم النصر"[2].

وهنا نلفت إلى أهمية الأخلاق الإسلامية في تحقيق النصر حيث يُلزم الإسلام أتباعه باتباع أخلاقيات دينية إنسانية حتى في قلب المعركة وفي خضم الصراع، فالغاية لا تبرز الوسيلة، لذلك إذا ما حقق المؤمنون بالله النصر فإنهم يحققون نصراً نظيفاً طاهراً بل لائقاً بالمؤمنين.

* "إننا نريد أن نثبت للعالم أجمع أن قوة الإيمان يمكنها التغلب حتى على القوى العظمى"[3].

وذلك لأن المؤمنين من خلال إيمانهم بالله خالق العالم تتصل قوتهم بقوته وإرادتهم بإرادته، فلا تعود المعركة والمواجهة بين قوتهم المادية الضعيفة وقوة القوى العظمى الهائلة بل يكون الطرف في الصراع هو الله القادر والغالب.

---

[1] الكلمات القصار، ص١٢٣.

[2] الكلمات القصار، ص١٢٣.

[3] الكلمات القصار، ص١٢٣.

* "بوجود القوة الروحية والانسجام والالتزام بالإسلام لن يؤدي نقص العدة إلى أي ضعف"[1]. إن الروحية المعنوية النابعة من الإيمان بالله تعوض وتجبر النقص المادي عدداً وعدة ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾[2].

وحدة الكلمة:

الوحدة في الخلق سنة إلهية قضاها الباري عزّ وجلّ في خلقه كل خلقه وبنى على هذه السنّة بناء القوة والعظمة، فأينما توجهت ببصرك أو بعقلك لرأيت الوحدة تتجلى في أسرار هذا الخلق الفسيح والعجيب، ومن هذه الوحدة تتشكل الكثرات الرائعة والغنية بأشكالها والألوان والمصدر واحد، أوليس الواحد الأحد هو مصدر كل هذا الخلق المتنوع والمتكثر، أوليس وحدته تعالى هي رمز العقيدة والإيمان وقيمة العالم.

ومسيرة النصر تبدأ في الوحدة مع الذات بأن يجمع الإنسان في داخله كل القوى المتشتتة والأهواء المتفرقة والمفرقة لتشكل وحدة تتجه نحو الهدف الأوحد وهو رضا الله تعالى وسوق هذه النفس نحو الملكوت، نحو الأعلى، نحو الحقيقة المطلقة، وهكذا عندما نخرج إلى عالم الوجود الخارجي فنتأمل في الوجودات المادية من جماد وحيوان وإنسان، نجد أن عامل الوحدة والتماسك والتعاون هو العالم الأساسي في قوة تلك الوجودات وديمومتها، كما نجد أن الفرقة والتفسخ هو العالم في ضعفها وتلاشيها، كما نجد أن الفرقة والتفسخ هو العالم في ضعفها وتلاشيها،

---

[1] الكلمات القصار، ص١٢٣.

[2] البقرة / الآية ٢٤٩.

فالمعادن الأشد صلابة وديمومة هي تلك التي تتحد ذراتها أكثر، والحيوانات الأعظم إنتاجاً هي تلك التي تتحد في ما بينها في ظل مجتمعات رائعة كمجتمعات النمل والنحل وما شاكل، والشعوب التي ساد التفاهم والوحدة بين أبنائها خلّد ذكرها وسجل التاريخ إنجازاتها، وعلى العكس فإن الأمم التي تفككت وحدتها زالت وتلاشت وفقدت كل إنجازاتها.

ووحدة الجماعة المؤمنة هي حتماً شرط في انتصارها على كل المستويات من إقامة المجتمع الإنساني الفاضل ووصولاً إلى الدفاع عن الوجود الإنساني مقابل أعداء الإنسان وتحقيق النصر في هذا الميدان وفي كل الميادين. ومن هنا أكد الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه على أهمية الوحدة وجعلها ركناً أساسياً إلى جنب الإيمان بالله تعالى كسبب من أسباب النصر وإن كانت الوحدة هي تجلٍ من تجليات الإيمان، ونتيجة له فالمجتمع الذي يحسن إيمان أفراده لابد لهم بحكم الإيمان ومبادئ الإسلام أن يتحدوا لأن أسباب الفرقة تزول حكماً بزوال أسبابها وهي حب الدنيا، والمفترض أن الإيمان بالله أدخل حبه إلى القلوب وطرد منها حب الدنيا بأشكاله المختلفة. وعلى كل حال تبقى الإشارة إلى أهمية وضرورة وجود القيادة الإسلامية الرشيدة والمخلصة في تحقيق الوحدة في المجتمع الإيماني لكي يحقق أهدافه.

وهذه كلمات نورانية لإمام الأمة رضوان الله عليه حول أهمية وضرورة الوحدة في تحقيق النصر:

"إن البلد الـذي تـستعد مختلـف شـرائحه للتـضحية هكـذا، لابـد أن ينتصر"[1].

وهنا نلتفت إلى نكتة هامة وهي أن وحدة الكلمة تكون حول موضـوع محدد، وعندما يكون الموضوع هو الدفاع في مواجهة الباطل فـإن اتفـاق كلمة الأمة يعني استعدادها للتضحية في هذا الصدد، وهذا ما يشير الإمـام إلى أهميته وهو أن الأمة كل الأمة عندما تبدي استعداداً للتضحية فإن أحداً لا يمكنه الوقوف في وجهه وهي منتصرة حتماً، "إذا ثـار شـعب وحـافظ على قوة إيمانه، عزت أية قوة عن مواجهته"[2].

"انتصار الثورة مرهون بكل أبناء الشعب"[3].

وهذه إشارة واضحة إلى الوحدة بين جميع شرائح الشعب بحيث تحقق هذه الوحدة انصهار كامل القوى وتجيير جميع الطاقات في خدمة القضية وصولاً إلى الهدف.

"لاشك في أن سر بقاء الثورة الإسلامية هو نفسه سر النـصر، والـشعب يعرف سر النصر وسوف تقرأ الأجيال الآتية ركنيه الأصـليين همـا الـدافع الإلهي والهدف السامي للحكومة الإسلامية، واجتماع الـشعب فـي جميـع أنحاء البلاد مع وحدة الكلمة من أجل ذلك الدافع وذلـك الهـدف. إننـي أوصي جميع الأجيال الحاضر منها والآتي... إذا أردتم أن يـستقر الإسـلام والحكومة الإسلامية الإلهية وأن تقطـع أيـدي المـستعمرين والمـستغلين

---

[1] الكلمات القصار، ص١٢٣ـ١٢٤.

[2] الكلمات القصار، ص١٢٣ـ١٢٤.

[3] الكلمات القصار، ص١٢٣ـ١٢٤.

الداخليين والخارجيين عن بلدكم فلا تضيعوا هذا الدافع الإلهي الذي أوصى به الله في القرآن الكريم، وفي مقابل هذا الدافع الذي هو سر النصر وبقائه يبرز خطر نسيان الهدف والتفرقة والاختلاف"[1].

المحافظة على النصر:

"ما أكثر الانتصارات التي تحققها الشعوب ثم تفقدها نتيجة ضعفها وعدم ثباتها على ما حققته"[2].

بهذا الكلام يبين الإمام حقيقة ثقافية وتاريخية ودينية وبشرية لا بل سنة من سنة الله في خلقه، وهي أهمية المحافظة على النصر والمكتسبات من خلال الثبات والتثبت بذلك. وسنكتفي هنا بعرض كلمات نورانية للإمام يبين لنا فيها أهمية الانتباه لمرحلة ما بعد النصر والحفاظ عليه، يقول الإمام رضوان الله عليه "إن ما يقلقني هو أن يكون شعبنا مثل جيش فاتح يصيبه الغرور بعد الفتح، ويصيبه التفسخ والتشتت من الداخل، بينما خصمنا أو خصومنا جيش مهزوم، وهو بهدف التآمر مشغول بالانسجام وتعبئة قواه، تماماً بعكس ما كان عليه قبل انتصارنا عليه، وسوف يكون هذا الأمر في النهاية مؤثراً. وأنا أريد وبالتأكيد وبكل تواضع من جميع الفئات المذهبية والوطنية والمحبة للإسلام أن تعود إلى الانسجام الذي كان قبل الثورة وأن يجتنبوا عن التفرقة وأن لا يصبحوا مجموعات مجموعات في هذا الظرف الخطير، لأن هذا بمنزلة الانتحار، ومن الممكن أن يعيد الثورة إلى الوراء لا سمح الله.

---

[1] الوصية السياسية الإلهية الخالدة للإمام الخميني.

[2] الكلمات القصار، ص١٢٤.

أصدقائي الأعزاء، إن كل ما لدينا اليوم هو في معرض الخطر من جانب الأصدقاء الجهلة الذي يبثون الفرقة أو بسبب خطة محسوبة من جانب العدو المتآمر.

استيقظوا، فإن المحافظة على الانتصار والثورة أصعب بكثير من إحراز أصل الانتصار والثورة"[1].

وأخيراً من أجل الحفاظ على النصر يوصي الإمام بنبذ الأهواء النفسانية والتعلق بالدنيا، فيقول رضوان الله عليه: "إذ تسببت أهواؤنا النفسانية لا قدَّر الله في أن يصل العتاب إلى حدود الشكاوى ومن الشكاوى إلى المخالفات، ففي ذلك اليوم يجب أن نقيم العزاء على جميع الوطن، وإثم ذلك في رقبتنا لأننا لم نجعل أهواءنا النفسانية تحت أقدامنا"[2].

---

[1] الاستقامة والثبات، ص٢٦٧ـ٢٦٨.

[2] الاستقامة والثبات، ص٢٦٧ـ٢٦٨.

الفصل الثالث

الشهادة والنصر

عندما يصل البحث إلى الشهادة فهذا يعني أن البحث قد وصل إلى الكشف عن رمز النصر وجوهره وعزه "فالشهادة عز أبدي"[1]، و"الشهادة رمز النصر"[2]، و"الاستشهاد في سبيل الإسلام فخر لنا جميعاً"[3]، و"إن الاستشهاد بالنسبة لنا فيض عظيم"[4]، فالشهادة على المستوى الشخصي للشهيد هي أعظم الفوز وأرقى النصر وها هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يعلن عن فوزه العظيم بالشهادة "فزت ورب الكعبة" رغم أن فقد الأمة له عليه السلام كانت الخسارة الفادحة التي لا عوض لها هذا أثر الشهادة بالنسبة للشهيد أما أثرها بالنسبة للأمة عندما يسقط الشهداء دفاعاً عنها فإن بشهادة هؤلاء الشهداء تتحول إلى عز ومنعة لها وحصن منيع مقابل كل من يفكر في الاعتداء عليها أو النيل من كرامتها وسؤددها.

فنحن في محضر الشهادة إذن أمام عنوانين أساسيين: نصر الشهادة والنصر بالشهادة، وقد يجتمع لشخص أو جماعة أو أُمة كلا العنوانين فينتصرون بالشهادة وينصرون بها أمتهم ودينهم والأجيال وهذا حال شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته الأبرار.

---

[1] الكلمات القصار، ص٧٤.

[2] الكلمات القصار، ص٧٤.

[3] الكلمات القصار، ص٧٤.

[4] الكلمات القصار، ص٧٤.

نصر الشهادة:

نصر الشهادة وكما تمت إشارة إليه هو أرفع وسام وأرقى نصر يمكن للإنسان أن يجوز عليه فالشهادة تمثل للإنسان المسلم والمؤمن لحظة تقديم كل ما يملك في هذه الدنيا وهي النفس في سبيل الله وكسباً لرضاه وما زاد من قيمة الشهادة هو ما وعد الله تعالى به الشهداء من كرامة ومن نعيم مما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر وذلك من خلال العديد من الآيات الكريمة والعشرات من الأحاديث والروايات عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الأطهار فضلاً عن سيرة أولياء الدين والصالحين عبر طلبهم الحثيث للشهادة في مواطنها ومظانها والمجال لا يتسع لذكر طائفة من تلك الآيات والروايات والسيرة، وتناسباً مع عنوان الكتاب وباعتبار أن الإمام الخميني رضوان الله عليه قد جسد من خلال كلماته ومواقفه كل هذا الأثر والتراث المبارك نورد بعض عبارات الإمام حول الشهادة وافتخاراتها إضافة إلى ما ورد آنفاً:

"إن الشعب الذي يعتبر الشهادة سعادة، شعب منتصر لا محال"[1].

"شعبنا عاشق للشهادة، وبعشق الشهادة هذا انتصرت الثورة"[2].

"الموت على فراش المرض موت محض، والمضي في سبيل الله شهادة ورفعة وشرف للإنسان بل للإنسانية"[3].

---

[1] الكلمات القصار، ص٧٤ـ٧٥.

[2] الكلمات القصار، ص٧٤ـ٧٥.

[3] الكلمات القصار، ص٧٤ـ٧٥.

فالشهادة بنظر الإمام هي سعادة وشرف ورفعة للشهيد لا بل للإنسانية، وكم هو عظيم عندما يتحول شعب بأسره إلى شعب عاشق للشهادة في سبيل الله ويعتبر الشهادة سعادة، إذ إن شهادة أفراد في أمة تحييها فكيف إذا تحولت الأمة إلى أمة مستعدة للشهادة!!

"هنيئاً لهؤلاء الشهداء ما نالوه من لذة الأنس ومجاورة الأنبياء العظام والأولياء الكرام وشهداء صدر الإسلام، وأكثر من ذلك هنيئاً لهم بلوغهم نعمة الله التي هي "رضوان من الله أكبر"[1].

"أيها الشهداء، إنكم شهود صدق، والمذكور بالعزم والإرادة الثابتة الفولاذية، وأفضل الأمثلة لعباد الله المخلصين. فقد أثبتم انقيادكم لله تعالى وتعبدكم له ببذل الدماء والأرواح"[2].

إن الشهداء هم الأكثر استحقاقاً لنيل النعم الإلهية الكرى والفوز بالرضوان لأنهم أثبتوا ببذل الدماء والأرواح صدق إخلاصهم وطاعتهم لمولاهم وخالقهم، فانتصروا وفازوا حيث النصر الأكبر.

"الشهادة هدية من الله تبارك وتعالى لمن هم أهلٌ لها"[3].

وهذا إشارة واضحة إلى قضية اختيار الله تعالى للشهيد من بين أقرانه حيث يعلم منه الصدق والوفاء والأهلية لذلك.

"إني أرى الشهادة في سبيل الحق، وفي سبيل الأهداف الإلهية فخراً أبدياً"[4] وأي فخر يسمو على الفخر الأبدي الذي لا انقطاع له في محضر الباري عز أمسه وفي محضر الأنبياء والأولياء والشهداء،وهل فخر الدنيا له أي قيمة إزاء هذه الفخر الأبدي. رزقنا الله وإياكم هذا الفخر الأبدي.

---

[1] الكلمات القصار، ص٧٤ـ٧٥.

[2] الكلمات القصار، ص٧٥ـ٨٠.

[3] الكلمات القصار، ص٧٥ـ٨٠.

[4] الكلمات القصار، ص٧٥ـ٨٠.

النصر بالشهادة:

الشهادة في سبيل الله دفاعاً عن الأوطان والكرامات والمقدسات هي السلاح الأمضى الذي يقف في وجه أعتى الجيوش والقوى، فمن طلب العز والحرية والكرامة والأمن والسلامة والوطن والدين لابد له أن يبذل الدم والنفس والروح ومن طلب النصر فلابد له من أن يستعد للشهادة، وهذه معادلة وسنّة إلهية في خلقه لا تختص بالمؤمنين بالله فقط بل بكل بني الإنسان، إن المؤمنين بالله يملكون من خلال معنى الشهادة الراقي ـ الذي اختص بهم ـ يملكون الحافز والدافع الإضافي والأعظم للاستعداد للشهادة طلباً للحياة الكريمة والمصونة من ذل الاحتلال والاستعباد والتسلط وهيمنة أهل الدنيا والطواغيت الكبار والصغار.

وبهذا السلاح تتكسر المعادلات وتختل الموازين وينتصر الدم على السيف لأن أقصى ما يمكن للعدو فعله بعد التهديد بالقتل هو القتل عينه، فكيف يخاف من كان القتل في سبيل الله أمنيته ومبتغاه. لذلك فإن امتشاق سلاح الشهادة يفقد الأسلحة المادية كل تأثيراتها فلا يعود لها أي قيمة رغم قوتها وجبروتها وقدرتها التدميرية.

لقد تعرف الإمام الخميني رضوان الله عليه على هذا السلاح باكراً جداً فهو الإمام الذي أعدَّ نفسه للشهادة منذ اليوم الأول لمواجهته لطغيان الشاه، كما عمل على إعداد شعبه والمسلمين للتزود بهذا السلاح الشريف والعزيز، سلاح الشهادة والقتل في سبيل الله وانتصر الإمام وشعبه بهذا السلاح، بل وصدَّره للشعوب والأمم التي لا زالت تنتصر كل يوم في لبنان

وفلسطين بسلاح عشق الشهادة ورفض الحياة الذليلة السوداء تحت نير الاحتلال الغاشم. وهذه بعض كلمات إمامنا النورانية حول هذا السلاح:

"الشهادة رمز النصر"[1].

"إن أحسَّ السعي في طلب الشهادة والفداء هو الذي أدى إلى انتصار الشعب الأعزل على الطاغوت"[2].

"لا يمكن لأية قدرة مواجهة الشعب الذي يقف نساؤه ورجاله على أهبة الاستعداد للتضحية بالنفوس مصرين على الاستشهاد"[3].

"إنكم منتصرون لأنكم عانقتم الشهادة، أما أولئك الخائفون من الهادة والموت فهم مهزومون"[4].

"الفداء والتضحية هما طبيعة أية ثورة، كما أن الاستشهاد والاستعداد للشهادة هما ضرورة أية ثورة"[5].

"إن داء شبابنا تغلّبت على البنادق"[6].

نصر كربلاء:

لئن كانت الشهادة على المستوى الفردي للمؤمن فوزاً عظيماً فإن شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بته وأصحابه في كربلاء مع ما صحابها من أحداث وظروف ولا بسها من ظلم وتضحيات وصبر لا يطيقه أحد فضلاً

---

[1] الكلمات القصار، ص٧٥ـ٨٠.

[2] الكلمات القصار، ص٧٥ـ٨٠.

[3] الكلمات القصار، ص٧٥ـ٨٠.

[4] الكلمات القصار، ص٧٥ـ٨٠.

[5] الكلمات القصار، ص٧٩ـ٨٠.

[6] نهضة عاشوراء، ص٧.

عن النية الطاهرة والمخلصة لهؤلاء الأطهار يجعل من تلك الشهادات أرفع وأرقى شهادة في تاريخ الإنسانية جمعا، ويكفي تدليلاً على ما نقول أن الإمام الحسين عليه السلام بات سيد شباب أهل الجنة وسيد الشهداء وباقي الشهداء أصبحوا سادة الشهداء من الأولين والآخرين. هذا على المستوى الشخصي للشهادة. أما على مستوى الأثر العام فقد كانت شهادة كوكبة من مؤمني عصرٍ ما تدفع البلاء عن أهل ذلك العصر فإن شهادة الإمام الحسين عليه السلام والكوكبة المضحيّة معه في كربلاء انتصرت للحق في حاضره والمستقبل وهزمت الباطل كذلك وأشادت للدين صرحاً إلى قيام الساعة.

فإذا أردنا أن نختصر الكلام عن النصر في فكر الإمام الخميني بكل الأبعاد، يمكن أن نقول أنه نصر كربلاء، لذلك نرى مناسباً أن نترك القلم هنا ليغرف من حبر فكر الإمام الخميني الكربلائي يحدثنا عن انتصار الدم الحسيني على ظلم التاريخ كله فمع الإمام:

"محرم هو الشهر الذي انتفضت فيه العدالة لمواجهة الظلم، وقام فيه لاحق لمواجهة الباطل، فأثبت أن الحق منتصر على الباطل على مرّ التاريخ"[1].

"إن الذي صان الإسلام وأبقاه حياً حتى وصل إلينا هو الإمام الحسين عليه السلام الذي ضحى بكل ما يملك وقدم الغالي والنفيس، وضحى بالشباب والأصحاب من أهله وأنصاره في سبيل الله عزّ وجل، ونهض من أجل رفعة الإسلام ومعارضة الظلم. لقد ثار الحسين عليه السلام بوجه تلك الإمبراطورية التي كانت أقوى الإمبراطوريات القائمة آنذاك في هذه

---

[1] الكلمات القصار، ص٧٩ـ٨٠.

المنطقة، بعدد قليل من الأنصار، فانتصر وكان الغالب رغم استشهاده هو وجميع من معه"[1].

"ها قد أطل شهر محرم شهر الملاحم والجشاعة شهر انتصار الدم على السيف والشهر الذي دحضت فيه قوة الحق زيف الباطل إلى الأبد ودمغت فيه جباه الجبابرة والظلمة والحكومات الشيطانية بوصمة لا تزول ولا تحول.

الشهر الذي علّم الأجيال على مدى التاريخ نهج الانتصار على الحراب والأسنة والشهر الذي شهد هزيمة القوى الكبرى مقابل كلمة الحق. والشهر الذي ينبغي أن تتغلب فيه القبضات المشددة لعشاق الحرية والاستقلال والحق. على الدبابات والمدافع الرشاشة وجنود إبليس، وتمحو كلمة الحق فيه غبش الباطل"[2].

"يعد شهر محرم بالنسبة لمدرسة التشيّع، الشهر الذي تحقق فيه النصر اعتماداً على التضحية والدماء"[3].

"محرم هو شهر النهضة الكبرى لسيد الشهداء وسيد أولياء الله، الذي علّم البشرية بثورته درس البناء والصمود، وعلمها أن طريق فناء الظالم وهزيمته إنما يكون بتقدم التضحيات والتضحية بالنفس، وهذا الأمر هو أهم تعاليم الإسلام للشعوب إلى آخر الدهر"[4].

---

[1] نهضة عاشوراء، ص٧.

[2] نهضة عاشوراء، ص٣١ـ٣٢.

[3] نهضة عاشوراء، ص٣١ـ٣٢.

[4] الكلمات القصار، ص٧١ـ٧٤.

"استشهاد سيد الشهداء أحيا الرسالة"[1].

"أحيوا ذكرى شهر محرم فإن كل ما لدينا هو من محرم هذا"[2].

"عاشوراء هو يوم الحداد العام للشعب المظلوم، ويوم الملحمة، ويوم الولادة الثانية للإسلام والمسلمين"[3].

---

[1] الكلمات القصار، ص٧١ـ٧٤.

[2] الكلمات القصار، ص٧١ـ٧٤.

[3] الكلمات القصار، ص٧١ـ٧٤.

الفصل الرابع

النصر في طريق الجهاد الأكبر

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنه قال: "المجاهد من جاهد نفسه في الله"[1].

طريق الجهاد الأكبر هو الطريق الطويل والشاق الذي يجب على الإنسان المؤمن والمجاهد لنفسه أن يقضي فيه كل عمره مجاهداً صابراً متنبهاً إلى منزلقات الدنيا ووسوسة الشيطان وهوى النفس حتى يخرج أخيراً من هذه المعركة الكبرى منتصراً، ليكون النصر في هذه الطريق مقدمة ضرورية لكل الانتصارات الأخرى، من نصر الشهادة إلى الانتصار بالشهادة وغلى تحقيق كل نعمة ونصر في الدنيا والآخرة. لذلك إننا نجد أن تربية النفس وجهادها والانتصار عليها قد احتل حيزاً هاماً في فكر ومواعظ إمامنا الخميني رضوان الله تعالى عليه حتى إنه أفرد مؤلفاً أسماه "الجهاد الأكبر"، هذا فضلاً عن الكتب والمحاضرات التي شحنت بنفسه الطاهر وهو ينبه ويرشد ويعظ المؤمنين ويحثهم على كسب هذه المعركة الهامة بل الفوز في نهاية هذا الصراع الطويل كي يحقق المؤمن أقصى الآمال وغاية المنى وتفتح له كل الطرق أمام جميع الانتصارات المادية والمعنوية. والإمام في طي مواعظه يرشدنا إلى مجموعة من الأسلحة تعد أساساً في هذا الصراع ليكتب في منتهاه بإذن الله، وهي:

---

[1] ميزان الحكمة، ج١، ص٤٥٣.

أ ـ البدء بإصلاح النفس:

الشرط الضروري والبديل للنصر في معركة الجهاد الأكبر مع النفس هي أن تلتفت إلى وجود هذه الساحة المعدة للمعركة ـ ساحة النفس ـ وأن لا يكون الإنسان غافلاً عنها بالكلية، فإذا ما التفت الإنسان إلى أن بين جنبيه نفس تملك خياري الشر وجب عليه تبعاً لذلك أن يصلح هذه النفس ويقومها من خلال تعوديها على الخير ومنعها من الشر، يقول الإمام رضوان الله عليه "على المرء أن يبدأ بإصلاح نفسه، والسعي لجعل عقائده وأخلاقه وأعماله مطابقة للإسلام"[1].

ويقول أيضاً: "إن ما هو ضروري بالنسبة لنا جميعاً هو أن نبدأ بإصلاح أنفسنا، وعدم الاقتناع بإصلاح الظاهر وحده، بل السعي للبدء بإصلاح قلوبنا، وعقولنا، والإصرار على أن يكون غدنا خير من يومنا"[2].

إن إصلاح الظاهر من عمل وقول وترك الباطن متعفناً بالخصال الخبيثة والأخلاق الردية هو كمثل جندي يتصدى للعدو على حدوده ويترك هذا العدو يسرح ويمرح داخل الوطن أو كشخص يعطر فضاء البيت وجدرانه بالطيب كي يتخلص من رائحة الجيفة الموجودة في البيت حيث لا ينفع هذا ولا ذاك سوى باجتثاث العدو من قلب الوطن ورمي الجيفة خارج الدار، وهكذا الإنسان الذي يصلح ظاهره دون الباطن سرعان ما يتدنس هذه الظاهر بلوث الباطن، لذلك يؤكد الإمام هنا على ضرورة البدء بإصلاح النفس وعدم الاكتفاء بالظاهر بل الاهتمام بالباطن، فالمعركة هنا أَوْلَى والنصر أعظم وأدوم.

---

[1] الكلمات القصار، ص٨١.

[2] الكلمات القصار، ص٨١.

ب ـ مخالفة الهوى:

إن طبيعة النفس البشرية هي طبيعة خلقها الله تعالى مجبولة على حب الأخذ وطلب المزيد وتحقيق المشتهيات والمتع إلى ما لا نهاية وبلا حدود، لذلك فإن أهم سلاح لمجاهدة النفس هو مخالفتها فيما تتطلب من طلب حزم أو حتى حلال قد يؤدي إلى الإسراف والتبذير أو يوقعنا في الشبهات المؤدية بدورها إلى الحرام، وعلى رأس مطالب النفس هو الأنا وحب النفس دون الآخرين، لذلك كان أول شرط في المواجهة و نكران الذات، يقول الإمام رضوان الله عليه "نكران الذات مقدمة لتكامل الإنسان"[1]، ويقول أيضاً: "إذا كان بعضنا لا يرتاح قلبياً من البعض الآخر، فتكليفنا الإلهي هو أن نخالف أنفسنا في مقام العمل والذكر والتبليغ"[2]، أي أن لا نعمل وفقاً لمتطلبات النفس، فإذا كانت نفسي تحدثني بسوء عن صديق أو أخ فلأقحم نفسي على زيارة هذا الشخص وبذل المودة له خلاف هوى نفسي.. كما يقول رضوان الله عليه: "إذا تجاوز الإنسان الأنا وأبدلها بهو يمكنه عندئذ إصلاح كل شيء"[3] بحيث يكون الله تعالى هو الحاضر في النفس بدلها، فكلما استشعر الإنسان شيئاً من هوى النفس وعلوها تذكر أنها مخلوقة الله وأنه مأمور بمخالفتها، وهذا طريق الانتصار.

---

[1] الكلمات القصار، ص٨١ـ٨٣.

[2] الكلمات القصار، ص٨١ـ٨٣.

[3] الكلمات القصار، ص٨١ـ٨٣.

ج ـ المراقبة والحراسة:

تماماً كما في ساحة المعركة مع العدو حيث يحتاج الجنود إلى أعلا درجات الرصد والمراقبة لاستطلاع حال العدو والحيلولة دون تسلله خِفْيَة أو جهاراً على قلب المعسكر، فإن معركة جهاد النفس تحتاج إلى المزيد من الحراسات لعدم تسلل هوى النفس ووسوسة شياطين الأنس والجان الذين يتسللون إلى النفس من خلال الدم والعرق والشريان والصبر والسمع وباقي الحواس والأعصاب والقوى الجلية والخفية للإنسان. وعليه فإن الإمام يوصي بمزيد من المراقبة فيقول رضوان الله عليه: "علينا أن ننظر في صحيفة أعمالنا قبل أن تصل إلى محضر الله، ومحضر صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف"[1] بمعنى أن نراقب أنفسنا جيداً كي لا نسوّد تلك الصحائف مطلقاً، حيث إن الله تعالى مطلع وحاضر وناظر لأعمالنا في كل لحظة، وكذلك يقول الإمام رضوان الله لعيه: "عليكم السعي لأن يكون لقاؤكم بالله حين حلول وقت الرحيل بوجوه بيضاء"[2]، وذلك بنفس المعنى المتقدم وهو حراسة الوجه والقلب من أن يتلطخ بأنواع الذنوب، ليبقى أبيضاً نقياً حتى إذا ما حصل الرحيل في أية لحظة لاقى الإنسان بوجهه الأبيض إن شاء الله تعالى.

د ـ زيادة الإيمان والتقوى:

حيث يعتبر الإيمان الروح التي تسيّر جيش الحق داخل النفس وتحركه في هذه المعركة نحو النصر المطلوب. كما أن التقوى تعد الزيت والوقود

---

[1] الكلمات القصار، ص٨١ـ٨٣.

[2] الكلمات القصار، ص٨٥ـ٨٦.

لهذا الإيمان المحرك. وعليه من غير الإيمان والتقوى لا يتوقع أحد أن ينتصر في معركة النفس وجهادها، وبما أن هذه المعركة طويلة، وبما أن العدو فيها يحضّر دائماً المزيد من العدة والحيل والأحابيل احتاج الإنسان حتماً ودائماً إلى زيادة درجات إيمانه ومراتب التقوى لديه لكي يضمن التوازن ومن ثم الانتصار بإذن الله. وهذه بعض كلمات للإمام تدلك على أهمية الإيمان والتقوى وضرورة الاستزادة منها باستمرار:

"إذا دخل الإيمان القلب صلحت الأمور كلها"[1].

"إن الإيمان بالله نور يزيح كل الظلمات من أمام المؤمنين"[2].

"من كان مع الله ملتفتاً إلى الله، مؤمناً به أخرجه الله من الظلمات وبلغ به حقيقة النور"[3].

"التقوى أساس العز"[4].

"اعلم أن الإيمان هو من الكمالات الروحانية، التي غفل الكثيرون عن حقيقتها الثورية حتى المؤمنين فهم غير مطلعين ما داموا في عالم الدنيا وظلمة الطبيعة على نورانية إيمانهم وعلى ما أعدَّ الله لهم من الكرامات في الآخرة"[5].

---

[1] الكلمات القصار، ص٨٥ـ٨٦.

[2] الكلمات القصار، ص٨٥ـ٨٦.

[3] الكلمات القصار، ص٨٥ـ٨٦.

[4] الكلمات القصار، ص٨٥ـ٨٦.

[5] الكلمات القصار، ص٨٥ـ٨٦.

هـ ـ الدعاء والمناجاة:

إن الدعاء والمناجاة في جوف الليل وأطراف النهار تمثلان طلب العون من الله القدير في هذه المواجهة الصعبة والمعركة المحتدمة بين قوتي النفس، وليعلم أنه من دون التوكل على الله واللجوء إليه وطلب مساندته ونصرته لا يمكن تحقيق النصر في هذه الساحة، وخير تعبير عن أهمية الدعاء في هذا الصراع هو كلمة للإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ يقول فيها: "إن الأدعية التي ورد الحث عليها... هي دليلنا نحو الهدف"[1]، ويقول أيضاً: "عندما يُحيي المسلمون ليالي القدر ويناجون ربّهم فإنهم إنما يفكّون أسرهم من قيد العبودية لغير الله تعالى، ويتحررون من قيد شياطين الجن والإنس ليدخلوا في العبودية لله وحده"[2].

فبالدعاء إذن يفك الإنسان أسر العبودية لغير الله بما في ذلك العبودية للنفس الأمارة التي هي أعدى أعداء الإنسان "أعدى عدوك نفسك التي بين جبينك"[3].

---

[1] الكلمات القصار، ص٦٢.

[2] الكلمات القصار، ص٦٢.

[3] البحار، ج٦٧، ص٣٦.

الفصل الخامس

النصر النهائي

النصر النهائي لابد وأن يصاحبه تحقق الغايات والأهداف النهائية. ومن المهم القول إن النصر النهائي على المستوى الفردي يتحقق بالشهادة أو بالوفاء بعد عمر من الجهاد الأكبر وتهذيب النفس البشرية وتربيتها. أما النصر النهائي بالنسبة للجماعة فهو تحقق أهدافها، وبما أن للأمة الإسلامية هدفاً فانتصارها بتحقق هدفها وهو أن تكون خير أمة للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. والنصر النهائي مثلاً للثورة الإسلامية في إيران أن تحقق دولة الإسلام العادل في تلك البقعة وأن تسعى لنشر ثقافة الثورة حيث تستطيع ذلك في هذه الأرض، وهكذا فإن للإسلام وصاحبه ورسوله هدفاً وهو أن يظهر على الدنيا كله فنصر الإسلام النهائي لا يتحقق إلا بذلك، وها هو الإمام رضوان الله عليه يعبر عن النصر الرباني بقوله: "الانتصار النهائي يتحقق عندما يطبق الإسلام في إيران بجميع أبعاده وبجميع أحكامه، والنصر الأكبر يتحقق عندما يحكم الإسلام كل الأقطار في العالم، فالإسلام هو سعادة البشرية"[1].

سيادة العدالة الشاملة:

إن حكومة الإسلام للعالم، بمعنى سيادة العدالة الشاملة هو الهدف النهائي للإسلام في الأرض، بما يعني تحرر المظلومين والمستضعفين من نير الظالمين والمستكبرين، فلذلك في فكر الإمام الخميني لا يتحقق النصر

---

[1] الكلمات القصار، ص١٢٧.

النهائي إلا بتحقق هذا الهدف، يقول رضوان الله عليه: "إن النصر النهائي يكمن في انتصار جميع المستضعفين على جميع المستكبرين"[1].

وفي موضع آخر يقول: "عيد الشعوب المستضعفة هو ذلك اليوم الذي يكون فيه المستكبرون قد دفنوا في الأرض"[2].

وهذا النصر النهائي على مستوى العالم يتحقق بحسب فكر الإمام رضوان الله عليه عند ظهور دولة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف التي وعدنا على لسان القرآن والروايات بأنها ستحقق العدالة الشاملة على مستوى العالم وستظهر الدين على الدين كله وتمحق دول الكفر والشرك والظلم إلى الأبد.

والإمام لا ينظر إلى ذاك الزمان بشكل أسطوري أو خيالي بعيد عن الواقع بل بما هو نتيجة لجهاد المجاهدين وكفاح ملايين أفراد الأمة عبر العصور، وهو ينظر إلى الثورة الإسلامية المباركة في إيران على أنها نقطة بداية للثورة الكبرى تلك. يقول رضوان الله عليه: "إن ثورة الشعب الإيراني هي نقطة البداية للثورة في العالم الإسلامي تحت راية الحجة المهدي عليه السلام أرواحنا فداه"[3].

إن هذه العبارة بالإضافة إلى بيانها للنصر النهائي العام على يد صاحب الزمان أرواحنا له الفداء تربط أيضاً ما بين الثورة الإسلامية في هذا العصر وثورة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. والحق يقال إن الأحداث العظيمة والهائلة والمتتالية وكذلك المتغيرات الكبيرة على المستوى الفردي الاجتماعي بعد مرور

---

[1] الكلمات القصار، ص١١٦.

[2] الكلمات القصار، ص١١٦.

[3] الكلمات القصار، ص٥٥ـ٥٧.

حوالي ربع قرن من عمر الثورة الإسلامية في إيران تزيد المتابع قناعة بكلام الإمام الخميني الملهم، لاسيّما ما يحصل هذه الأيام من انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان على "إسرائيل"، هذا الانتصار الذي حوّل حزب الله إلى رائد للأمة الإسلامية يأخذ بيدها نحو الخير والفلاح، وما يحصل في فلسطين اليوم من مقاومة وانتفاضة ليس سوى دليل على ما نقول. نسأل الله تعالى أن لا تطول الفاصلة الزمنية بين نقطة البداية ويوم حدوث الثورة الكبرى على يد صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وفي ختام هذا الفصل أورد مجموعة من كلمات الإمام الخميني رضوان الله عليه تتحدث عن النصر النهائي وحكومة المستضعفين العالمية بقيادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف:

"إن المهدي صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف يراقبنا جميعاً، يراقب العلماء وما يفعلونه والإسلام بأيديهم، ولا عذر لهم"[1].

"إن الأنبياء لم يوفقوا لتحقيق أهدافهم، وسيبعث الله في آخر الزمان برجل ليحقق أهداف الأنبياء"[2].

"علينا نحن المنتظرين لقدومه المبارك أن نبذل قصارى جهدنا لتحكيم قانون العدل الإلهي في دولة ولي العصر هذه"[3].

"كم هو مبارك ميلاد هذه الشخصية الكبيرة التي ستحقق العدالة التي كان بعثها الأنبياء عليهم السلام من أجلها، وكم هو مبارك مولد هذا الرجل الكبير

---

[1] الكلمات القصار، ص٥٥ـ٥٧.

[2] الكلمات القصار، ص٥٥ـ٥٧.

[3] الكلمات القصار، ص٥٥ـ٥٧.

الذي سيطهّر العالم من شر الظالمين والحاقدين وسيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ويقضي على الاستكبار العالمي ويورث الأرض لمستضعفي العالم"[1].

"وأنا آمل أن يصل ذلك اليوم الذي يتحقق فيه وعد الله القطعي ويصبح المستضعفون مالكين للأرض، هذا وعد الله ولن يخلف الله وعده، وأما أن ندرك نحن ذلك أو لا ندركه فذاك بيد الله تعالى، إذ يمكن أن تتهيأ مقدمات الظهور في برهةٍ قصيرة من الزمن وتقرَّ أعيننا بجمال طلعته البهية"[2].

---

[1] الكلمات القصار، ص٥٥ـ٥٧.

[2] الكلمات القصار، ص٥٥ـ٥٧.

الخاتمة

نصر فلسطين

بين الإمام الخميني رضوان الله عليه وفلسطين أكثر من عشق وسر وقضية، ففلسطين عاشت في قلب الإمام الخميني رضوان الله عليه منذ أن سقطت شهيدة وبدأت قضية شعبها المظلوم، وكانت فلسطين حاضرة في ثورة الإمام في طهران بل وكانت فلسطين شعار الثورة ورمز انتصارها، وبقي الأمل بنصر فلسطين يعيش في قلب الإمام على مرِّ السنين حتى بدأت مقاومة شعب لبنان المقاوم والمضحي ليكبر الأمل كُلما ارتفع صراخ جنود الصهاينة بالعويل تحت ضربات أبناء الخميني المخلص من مجاهدي حزب الله والمقاومة الإسلامية، حتى إذا ما انطلقت الانتفاضة الأولى في فلسطين كانت الإشراقة في قلب الإمام الحنون، فإذا به يحنو على أهل الانتفاضة ويعيش أمل بالنصر القريب، وها هو يوصي بدعمها بكل السبل، فيقول رضوان الله عليه:

"ينبغي أن نضم صوتنا إلى صوت الشعب المظلوم المنتفض داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، وأن نقدم الدعم العملي لتظاهراته وانتفاضته في مقابل ظلم "إسرائيل" ليتغلب على هذا الغول المفترس والغاصب الملحد، مثلما أسقطت إيران بالتظاهرات والثورة الإسلامية نظام الظلم الملكي، والأمل أن يستمر المظلومون في المناطق المحتلة بتظاهراتهم وقيامهم ضد الصهاينة حتى يحققوا النصر"[1].

---

[1] القضية الفلسطينية في كلام الإمام، ص٢٣٤.

وعلى هذا الأمل العزيز عاش الإمام آخر أيام حياته، وعلى هـذا أغلـق عينيه عن هذه الدنيا المليئة بظلم الظالمين. وكانت وصية المقاومة في لبنان والانتفاضة في فلسطين أن احفظوهما بأعينكم والقلوب ولا تفرطـوا بهمـا أبداً ولا تتراجعوا خطوة واحدة عما أنتم عليـه، لأن فـي التراجـع الخطـر الكبير على الحاضر والمستقبل. ولنستمع إلى وصية الإمام للانتفاضة قبـل عام وفاته رضوان الله عليه:

"لقد اتحدوا جميعاً من أجل منع الشعب الفلسطيني من مواصلة المسير على نفس الطريق الذي سلكه الآن (في إشـارة للانتفاضـة)، وذلـك عـن طريق التظاهر بالحرص على فلسطين والتأسف على ما يتعرض له، وإن من الأفضل أن يماشوا الأمور قليلاً حتى تنتظم!! ولكن ليعلم الشعب الفلسطيني بأنه إذا ما تراجع خطوة واحدة عما هو عليه الآن فسوف يعود ثانيـة إلـى حالته الأولى. إن الشعب الفلسطيني يوشك أن يـسحق اليهـود الـصهاينة، وأتمنى أن يتم له ذلك"[1].

أيها الإمام العظيم، نم هنيئاً ومطمئن البال، فها هي المقاومة الإسلامية في لبنان قد انتصرت عام ٢٠٠٠ وحققت الهزيمة المذلة "لإسرائيل" وفجـرت الحماس لدى أبناء الشعب الفلسطيني الذي أعاد انتفاضته الثانية بكل ثبات بل حولها لمقاومة باسلة باتت تقض مضاجع بني صهيون، وها هو الشعب الفلسطيني يوشك أن يسحق اليهود الـصهاينة ليعـودوا مـن حيـث أتـوا ويتحقق نصر فلسطين بعد نصر لبنان، وعلى أمل أن يكون النصر الآتي بعد ذلك هو النصر النهائي والشامل الذي بشرتنا به وهو نصر سيد الأنام مولانا

---

[1] القضية الفلسطينية في كلام الإمام، ص١٨١.

صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف عندما يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

وما النصر إلى من عند الله.

محتويات الكتاب

مقدمة ١
الفصل الأول: حقيقة النصر وتجلياته ٥
النصر في ظل الحق: ٦
الثبات على الحق: ٨
أهل الحق لا يخافون من التهديدات: ٩
النصر في ظل الصبر ١٠
النصر والمدد الإلهي: ١١
الفصل الثاني: سر النصر والمحافظ عليه ١٣
الإيمان بالله والتوكل عليه: ١٣
وحدة الكلمة: ١٦
المحافظة على النصر: ١٩
الفصل الثالث: الشهادة والنصر ٢١
نصر الشهادة: ٢٢
النصر بالشهادة: ٢٤
نصر كربلاء: ٢٥
الفصل الرابع: النصر في طريق الجهاد الأكبر ٢٩
الفصل الخامس: النصر النهائي ٣٥
سيادة العدالة الشاملة: ٣٥
الخاتمة: نصر فلسطين ٣٩
محتويات الكتاب ٤٢